

هكذا تدير دول الحصار حرب الشائعات ضد قطر



في 5 يونيو/حزيران 2017، فرضت السعودية والإمارات والبحرين ومصر حصاراً على قطر، وأغلقت الحدود البرية والبحرية والجوية.

ومزق هذا العدوان غير المسبوق العائلات وانتهك حقوق الإنسان وقضى على الثقة بين قطر والعديد من جيرانها العرب.

وكانت الأزمة لحظة فاصلة في تطور حرب المعلومات، وكان انتشار المعلومات المضللة والأخبار المزيفة أمراً أساسياً في التحول إلى عصر ما بعد الحقيقة، حيث يعد اللعب على العاطفة، وليس طلب الحقيقة، هو العملة السياسية الرئيسية.

وتقول لنا الأعوام الـ3 الماضية منذ بدء الحصار إن الأسوأ لم يأتي بعد.

الذرائع ووسائل التواصل الاجتماعي
وتتطلب معظم الأزمات ذريعة ما، وروجت الولايات المتحدة لغزو العراق عن طريق اختلاق فكرة وجود أسلحة دمار شامل لدى "صدام حسين"، في حين انطلقت حرب فيتنام بسبب حادث خليج "تونكين"، الذي وقع عام 1964، عندما هاجمت السفن الحربية الفيتنامية الشمالية السفن الحربية الأمريكية، الأمر الذي اتصح تلفيق معظمها فيما بعد.

وتعتبر الذرائع أحداثاً ذات أهمية خاصة حيث إنها مصممة لخلق دعم عام لما يمكن اعتباره قرارات سياسية غير شعبية، مثل الحرب أو الحصار.

و قبل عام 2017، تم إطلاق هذه الذرائع بشكل تقليدي من خلال وسائل الإعلام التقليدية، الإذاعة والتلفزيون والمصحف.

لكن ما يميز أزمة قطر هو أنها كانت واحدة من الأزمات الدولية الأولى التي انطلقت بسبب حملة مبنية على اختراق وتضليل مدبر مسيّقاً.

وهنا، كانت الذريعة هي اختراق وكالة الأنباء القطرية، وهي خطوة غير عادلة كانت تهدف إلى تشويه صورة قطر وإظهار أنها مؤيدة لإيران، وهي صورة من المحتم لا تجد تعاطفاً في واشنطن تحت إدارة الرئيس "دونالد ترامب".

وبعد الاختراق، تم العمل من خلال عشرات الآلاف من الحسابات المزيفة لتخفيض وجهات النظر المناهضة لقطر وخلق وهم بأن هناك موجة من العداء الشعبي ضد قطر.

وبين مايو/أيار 2017 ومايو/أيار 2020، استمرت هذه الحسابات في تشجيع الانقلابات، والتلاعب بالاتجاهات، وتشويه سمعة قطر بصفتها فاعلاً محارباً في الشرق الأوسط، وممارسة التضليل فيما يخص حقيقة الأزمة.

وبعد 3 أعوام، وحلول شهر رمضان الثالث منذ الحصار، عملت حملة تضليل ضخمة بقيادة السعودية باستخدام اللجان الإلكترونية والحسابات المؤثرة، على نشر معلومات مضللة حول "انقلاب في قطر". حتى إنه تم اختراق حسابات رسمية لمغني وكاتب أغاني أمريكي ولاعب بيسبول محترف لنشر المعلومات المضللة عبرها.

من الفيروس التاجي إلى نيوكاسل وبالرغم من تعليق "تويتر" بشكل متعمد لآلاف الحسابات المتصلة بحرب الشائعات السعودية والإماراتية والمصرية، لا تظهر حرب الشائعات أي علامة على التراجع.

بل على العكس، تستغل الأنظمة الخليجية قضايا سياسية عالمية متعددة للعودة إلى الأجندة المناهضة لقطر وإيران والمعادية لتركيا.

ويثير التأثير التراكمي لكل هذه المعلومات المضللة القلق في مدى انتشارها. ومن الدورى الإنجليزى الممتاز إلى جائحة الفيروس التاجي العالمية، لم يبق سوى عدد قليل من القضايا لم تتدخل مع هذه الحملة.

ويتم وصف أولئك الذين ينتقدون استحواذ السعودية المحتمل على نادي "نيوكاسل يونايتد" الإنجليزى باعتبارهم مؤيدين لقطر.

وتظهر حسابات مزيفة لمشجعين بريطانيين لنادي نيوكاسل يونايتد تروج لمحظى منهاهم لقطر، في محاولة لتأطير معارضة السيطرة على النادي على أنها مجرد سياسات إقليمية، وليس مخاوف متعلقة بحقوق الإنسان.

حتى إن أحد حسابات المشجعين هذه انتقد "خدية جنكيرز"، خطيبة الصحفي السعودي الراحل "جمال خاشقجي"، متهمًا إياها بأنها جزء من محاولة قطرية لوقف الاستحواذ السعودي.

ويجد أي صحفي رياضي يكتب عن "ما نشستر سيتي" الذي تمتلكه الإمارات، مثل "روب هاريس" من وكالة "أوسوشيتد برس"، أو "ميجيل ديلاني" المستقلة، نفسه متهمًا بشكل متزايد بأنه مؤيد لقطر ومتعاطف مع الإرها بيبيين.

ولعل الجانب الأكثر إثارة للقلق هو أن الأنظمة الخليجية تستغل النفوذ العاطفي لكرة القدم في محاولة للتأثير على تصور المواطنين البريطانيين للشؤون الخارجية.

كما جرى تسييس أزمة فيروس "كورونا" المستمرة، وفي مارس/آذار الماضي، اتهمت شبكة من الحسابات المزيفة قطر بنشر الفيروس في الأرجنتين، في حين قالت الصحفية السعودية "نورا المطيري" بنشر نظرية مؤامرة حول الفيروس مدعية أن قطر أعطت الصين أموالاً لمساعدة في تطوير المرض من أجل الإضرار بالاقتصاد السعودي والإماراتي.

وفي أعقاب مقتل الأمريكي من أصل أفريقي "جورج فلويد"، سرب القطري المعارض في الخارج، "خالد الحيل"، تسجيلاً لرئيس الوزراء القطري السابق، "حمد بن جاسم"، يشير إلى الرئيس الأمريكي السابق "باراك أوباما" بأنه "عبد".

تضليل آخر

وفي حين كان من المعتمد أن تضمّن وسائل الإعلام الرقمية الأخبار في الوسائل التقليدية، لكنه في الشرق الأوسط غالباً ما تضمّن وسائل الإعلام التقليدية المعلومات المضللة التي تخرج على وسائل التواصل الاجتماعي.

وتتوقف الدعاية عن فعاليتها بمجرد أن يعرف الناس أنها دعاية، ولكن إذا كانت هذه الدعاية لها جذور ما في وسائل التواصل الاجتماعي، فإنها تتمتع بمصداقية تفتقر إليها وسائل الإعلام التقليدية التي تسيطر عليها الدولة، لأن تلك المعلومات حينها تظهر وكأنها خرجت من المجتمع المدني.

وفي الواقع، يتم تسهيل الوصول للمعلومات المضللة على وسائل التواصل الاجتماعي من قبل منظمات إعلامية ذات سمعة طيبة.

وتوصلت "المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق"، وهي منظمة لها علاقات وثيقة مع ولي العهد السعودي "محمد بن سلمان"، إلى اتفاق مؤخرًا مع "إندي بندنت" البريطانية "لإدارة موقع إخبارية بالعربية والفارسية والأوردية والتركية بعلامة "إندي" التجارية.

وخلال حملة التضليل الإخبارية الأخيرة حول وجود "انقلاب في قطر"، نشرت "إندي أرابيا" قصصاً احتضنت فكرة الانقلاب المضللة بشكل مفتقد للمعلومات، مستشهدة بحسابات تم تعليقها لاحقاً بواسطة "تويتر".

ولكن من الذي يخلق في نهاية المطاف هذه الرسائل المزيفة على وسائل التواصل الاجتماعي؟ نحن لا نعرف دائمًا.

ومع ذلك، وفقاً لصحيفة "الجارديان"، فإن بعض الشركات البريطانية ذات السمعة الطيبة، التي لديها مكاتب فاخرة في "ما يغير"، تدير عمليات التنجيم وإنشاء حسابات وهمية لتلميع صورة "بن سلمان". وكان هذا على الأرجح قمة جبل الجليد.

وفي الخليج، أدت القوة المتنامية لـ"محمد بن سلمان"، وولي عهد أبوظبي "محمد بن زايد"، إلى جانب دعم "ترامب" وعدم اكتراثه للحقيقة أو المؤسسات العالمية وحقوق الإنسان، إلى خلق بيئة محمومة للتضليل.

وكانت الأزمة الخليجية جزءاً لا يتجزأ من هذا الأمر، حيث رأت دول الحصار أي انتقاد موجه إليها على أنه مبرر للحملة التي أقامتها ضد قطر، التي زعمت أنها "داعمة للإرهاب".

ومع التزوير العميق والمتعمد، في مجتمع مضلل بشكل تام، ومع كون الحقيقة لم تعد تحظى بنفس القدر من الأهمية من قبل العديد من الأنظمة في جميع أنحاء العالم، فإن المرحلة التالية من حرب التضليل ستصبح كارثية.

المصدر | مارك أوين جونز | ميدل إيست آي - ترجمة وتحرير الخليج الجديد